البعثة
المجلد الثالث
السنة الثالثة
نشرة ثقافية شهرية يصدرها بيت الكويت بمصر
كويت
إيران
شط العرب
العراق
جزيرة بوبيان
جبل قصي
فيلكا
جون الكويت
الخليج العربي
راس
الجهرة
المقوع
القطاس
فحيحيل
الاحمدي
القليعة
جبل واره
البرقان
الدبدبة
المنطقة المحايدة
المملكة العربية السعودية
المنطقة المحايدة
جمعها وأعاد طباعتها
مركز البحوث والدراسات الكويتية
الكويت ١٩٩٧ م

القرآن والعلوم الحديثة

لاجدال فى أن القرآن الكريم هو مائدة السماء الإلهية تنزلت على محمد ﷺ ليطعم منها الجياع فى عقولهم وقلوبهم وأرواحهم، وليبث بهافى العيون العمى نوراً وفى الأفئدة الغلف هداية، وفى النفوس الحائرة سداداً ورشاداً، وهو لذلك كتاب تقويم وتأديب، وتعليم وتهذيب. هذا هو الغرض الأساسى فيه. وهذا هو المقصد الأكبر الأهم الذى يسعى نحوه، وليس وراء ذلك من مطمح رئيسى لرسالة سماوية، فإذا اهتدت العقول من ضلالها، وسلمت القلوب من أوشابها، وارتقت الأرواح فى معارجها، فقد تم للبشرية كمالها وحفت بالجلال حركاتها وأعمالها، ولعله من الواضح الذى لايحتاج إلى طويل بيان أن الإسلام فى عصوره الأولى قد أدى هذه الرسالة على الوجه الأتم الأكمل، فأخرج الناس من الظلمات إلى النور، وعلمهم من جهالة، وأنقذهم من ضلالة، وجمعهم من فرقة، ولمهم من شتات، وأدبهم بعد جموح، وطهرهم بعد طويل تلوث بأوضار الشرك والكفر والرذيلة والفسوق.

وهذا الكتاب الإنسانى العالمى الجامع الذى نزل من لدن رب العالمين ليكون نوراً لجميع العالمين، ودستوراً قائماً صالحا لشرعة الجمال والكمال فى كل زمان ومكان، قد تضمن فى بعض أجزائه ومواضعه إشارات قد تكون رموزاً إلى طائفة من مسائل علمية أو نظريات حديثة، مثل قوله تعالى (وأرسلنا الرياح لواقح) وقوله (أولم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها) وقوله (وكان عرشه على الماء) وقوله (ثم استوى إلى السماء وهى دخان) وقوله (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم، لاالشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون) وقوله (بلى قادرين على أن نسوى بنانه) وقوله (والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها، والليل إذا يغشاها، والسماء وما بناها، والأرض وماطحاها، ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها) إلى غير ذلك من الآيات التى اتخذها بعض العلماء المعاصرين أساساً لبحوث كثيرة كتبوها عن إعجاز القرآن وصلته بالاكتشافات الحديثة والنظريات العلمية الجديدة، وقد وجه أولئك العلماء - عن حسن نية طبعاً وكريم مقصد - جهوداً كبيرة مذكورة، لتبيان هذه الناحية ظانين أنهم بذلك يخدمون القرآن الكريم أكبر خدمة، ويقدمون إلى رسالته أفضل سابقة. ولكنى ألاحظ أن الإسراف فى هذه الناحية فيه من الخطورة والابتعاد عن جادة الصواب مافيه، وذلك لأن النظريات العلمية فى الغالب، مبنية على تجارب معدودة، ولم تصل إلا فى أحوال قليلة نادرة إلى حد الجزم واليقين، وهى عرضة فى الغالب للتبدل والتغير فقد يصبح مانراه اليوم حقيقة علمية أمراً مقطوعا بفساده أو بحاجته إلى تهذيب أو تصحيح فى الغد القريب أو البعيد، ومعنى هذا أن القرآن الذى أحكمت آياته وفصلت من لدن حكيم خبير، والذى جعله الله حقاً، من الحق نزل، وبالحق نزل، وبالحق يبقى، وإلى الحق يدعو، سيكون خاضعاً لهذه النظريات المتغيرة المتبدلة، فتتغير آياته بتغيرها، وتتبدل بتبدلها. فنفسر الآيات القرآنية الكريمة الآن مثلا على ضوء ما نحسبه حقاً من النظريات العلمية الباهرة، وننادى الناس قائلين: انظروا أيها الناس، هاهو ذا القرآن يحتوى على كل العلوم وجميع النظريات الحديثة!.. ثم نصبر على ذلك حينا طويلا أو قصيراً من الزمن، ويرسخ هذا التفسير فى نفوس الناس، ويؤمنون به، ثم إذا بنا فجأة وقد تغيرت النظرية العلمية، فنضطر حيال ذلك بأن نعود فنقول: إن معنى الآية القرآنية قد تغير وتبدل، وهنا يكون الموقف غريباً مضحكاً للغاية، ونعرض الاسلام حينئذ لسخرية الساخرين، ونمكن إعجاز القرآن الكريم وصدقه من طعن الطاعنين.

يا أيها المسلمون فى المشارق والمغارب. إن كتابكم المقدس الذى ترتلون آياته فى الصباح والمساء، وتتعبدون لربكم بقراءته وتدبر كلماته وتنفيذ تعاليمه، لايضيره أبداً أن لايكون كتاب طبيعة وجغرافيا وحساب واختراع واكتشاف وكيمياء وميكانيكا وغير ذلك من علوم، فهذه بضاعة البشر والله الذى علم الإنسان مالم يعلم قد مكن الإنسان من هذه العلوم، ثم تولى هو سبحانه مهمة إلهية لايقوى عليها البشر (لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) (إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء).. هذه المهمة هى تطهير القلوب من أدرانها وتنظيف العقول من أوهامها، والتسامى بالأرواح إلى ملأها الأعلى. وحسب القرآن فخاراً أن يؤدى هذه المهمة العظمى على الوجه الكامل الذى أداها عليه، وحسب القرآن مافيه من أخلاقيات وعقائد، وتشريع وتقنين، وتقويم وتعليم!!...

على أنه ليس هناك مايمنع من أن نمس فى تفسير القرآن الناحية العلمية مساً خفيفاً لايدخل فى باب القطع بأن هذه الآية تفيد هذه النظرية، وإلا حدث ماخشيناه وما أشرنا إليه خلال هذا الحديث!!

أحمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

انا الى ربنا راغبون

« من وحى زيارة البعثة المصرية التعليمية بالكويت
للأراضى الحجازية فى عطلة الربيع » .

ما كانت الصلاة قرة عين الرسول ﷺ إلا لأنها جنة نفسه التى تستمتع فيها بالراحة والخلود لوقت محدود ، ثم هى بين هذه الأوقات الخمس فى دنيا الدعوة تهيؤها لثوب جديد . وهكذا الصلاة لكل مسلم خمس مرات فى اليوم خروج من دنيا المادة الفانية إلى راحة النفس وخلودها فى سعادة روحية ، كأنما تغتسل خمس مرات من أدران الشرور التى علقت بها بين هذه الفترات .

إننى لأشفق على هذا الإنسان الذى لا يتطهر من شرور يومه إلا خمس مرات يخلع فيها ثوب الدنيا وكأنى به مخلوق ضعيف تتقاذفه أهواء نفسه ونزعات شيطانه فى دنيا يومه التى لا يجد فيها كنفاً ورعاية إلا هذه الصلوات التى يخلد فيها إلى خالقه وتلقى يتسلح منها بزاد جديد لمعترك جديد ينتظره بعد الفراغ منها .

ثم يشاء الله أن تتوج هذه الصلوات اليومية بصلاة جامعة فى كل أسبوع أو هذه الأعياد الفردية المتكررة بعيد جامع يتركون فيه مساجدهم الخاصة ويلتقون جميعاً فى بيت من بيوت الله ليشتركوا فى مناجاة ربهم ويكون هذا اليوم لهم بمثابة عيد الأسبوع الأكبر .

إننى لأشفق على هذا الانسان الضعيف لأنه لولا علم خالقه بضعفه ما أحاطه بهذا السياج الذى يدرأ عنه الشراك المنصوبة له كلما جاوزه قليلا .

ثم هناك بعد هذا — الهجرة الكبرى — حين تتخلى عن دنياك التى تعيش فيها إلى الأرض التى باركها الله وخصها لتكون مقر بيته الحرام ورمز وحدانيته . هناك الهجرة الكبرى وهناك تسمو الآدمية إلى روحانيتها ، فتذوب الأحقاد والأدران فى دموع التوبة والمغفرة ، والكل يهدف إلى الله طائفين حول بيته أو راكعين أو ساجدين . وما هى إلا لحظات فى رحاب البيت العتيق حتى تجلى النفوس فتكون شفافة رقيقة وتتفتح العيون فإذا هى لا ترى إلا الحسن الجميل ولا تحمل إلى القلوب والنفوس إلا ما يطامنها ويزيدنى رضاها .

ولهذه الهجرة الكبرى أعد نفسى أيها القارىء الكريم لتكون فى عداد الركب المهاجر إلى الله الراغب إليه ، وبمشيئة تعالى يتحرك الركب فى الغد القريب فأى أعداد للنفس أعنى !

أما هذا الاعداد فهو أن أخرج بها كل يوم من دنياها لتكون بعد هذه الأيام التى نقطعها فى الطريق جديرة بلقاء الله حول بيته وفى مهد رسالته ، وأن أتدرج بها فى ظلمتها فى نور الهداية حتى تكمل رياضتها فلا يسحرها نور ربها دفعة واحده . ولا أعتقد أننى سأعجز عن رياضة نفسى ، ولو لمدة أيام قليلة ، ثم أتركها عندما آخذ بيدها إلى رحاب الله حول بيته . فإن للبيت حرمة وله رب يأخذ بمقاليد القلوب ، ويستقبل ضيوفه الذين رغبوا إليه ويدخلهم فى رحماته ويصهرهم فى بوتقة الإيمان من جديد ليكونوا بعده أناسى خلقوا من جديد ويسيروا فى الأرض بعمر جديد وحياة استمدت إيمانها من مهد الإسلام ورب العالمين .

ولا أضنى أجهل سبيل الخير لنفسى وطرق إعدادها وتهيئتها لهذا التطهير العام لتكون صالحة كعضو فى ركب المهاجرين إلى الله الراغبين إليه . أوليس إعدادها هو تحديد علاقتها بالله وبعباد الله وأن يكون مرد العلاقتين كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله عليه وسلامه ! ! إذن فالطريق ميسرة — ولو لمدة أسبوع — تطرح فيها ثوب الدنيا وعاداتها وتقاليدها وتلبس ثوب الإسلام على فطرته التى فطره الله عليها لا كما يفهمه المسلمون الآن .

ستفاجأ النفس بهذا التغيير ويفاجأ الناس معها بهذا المظهر الجديد فالصلوات غير الصلوات ، وتلاوة القرآن غير تلاوة الأمس ، وذكر الله يصحبه وجل وزيادة فى الإيمان ، والقلب لا يخفق إلا خفقات جديدة ، والعين لا ترى إلا ما أحل لها ولا تبصر إلا الجميل المقبول ، والأقدام لا تمشى إلا فى طريق الخير

وبهذه الحياة الإسلامية وحدها فى أيام معدودات تتم التهيئة والاعداد حتى لا تذهل الأعين حين تغشاها النورانية من كل جانب ولا تضر القلوب حين يزداد خفقانها ولا تؤذى المشاعر حين يزداد التهابها .

فإلى الله أضرع ليتم الاعداد على الوجه الذى يرضاه لألقاه به ، وإليه أبتهل لأسعد بجوار بيته بمن سعد به الأولون من نور الإيمان واليقين . وافتح اللهم لنا جميعاً حياة جديدة كلها جهاد فيك وقربى إليك إنك على كل شىء قدير .

صالح جمال محمد
ناظر المباركية الثانوية بالكويت